**جامعة تكريت**

**كلية الآداب**

**قسم اللغة العربية**

**محاضرات / علم اللغة**

**المرحلة / الثالثة**

**مدرس المادة / أ.د. عزت ابراهيم حماش**

**نظريات نشأة اللغة**

تعددت آراء العلماء ونظرياتهم في البحث عن أصل اللغة ، وتباينت دوافعهم و أساليبهم على وفق تكوينهم الثقافي : فمنهم من استنزل اللغة من السماء ، ومنهم من استنبتها من الأرض أو استنبطها من أصوات الطبيعة ، ومنهم من ربطها بالاجتماع المفضي إلى التواضع و الوضع ، أو بالانفعال المؤدي إلى التنفيس عن الحس ، و منهم من استعان على مناقشة الفكرة بما جدَّ في العلوم الأخرى ، فانتهى إلى نظرية ادعى أنها أوفر النظريات حظاً من الصدق والعمق ، و أقربها إلى الدقة والحق ، و في التعدد مجال للموازنة والترجيح ، وقد عبر ماريو باي عن طبيعة هذه النظريات و أدلة أصحابها بقوله : ( فيما يختص بنشأة اللغة و طبيعتها لدينا مصادر تعتمد على الأساطير و الحديث المنقول و المناقشات الفلسفية ، ولكن تنقصنا الحقائق العلمية في هذا الصدد ) .

**ومن أهم النظريات التي حاولت تفسير نشأة اللغة الإنسانية مايأتي :**

1ــ نظرية الوحي والإلهام ( نظرية التوقيف ) :

إن الأصل أو الأساس الذي تنطلق منه هذه النظرية هو أن الله سبحانه وتعالى خلق الأشياء ثم أوحى إلى آدم ( عليه السلام ) أن يضع لها أسماء فوضعها .

وكانت لأصحاب هذه النظرية أدلة نقلية مقتبسة من الكتب المقدسة ، فقد استدل العلماء العرب بقوله تعالى (( وعلم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة )) فالمراد ( علمه اسم كل شي ء ) ويعد ابن فارس (ت 395هـ ) أشد الناس تعلقاً بهذه النظرية إذ انتهى إلى القول : ( إن لغة العرب توقيف ) .

و إذا توغل المتتبع لتاريخ النظرية إلى عهد أقدم من عهد العرب فإنه يعود بها إلى فلاسفة اليونان و أحبار اليهود ليجد أن عزو اللغة اليونانية و اللغة العبرية إلى مصدر إلهي رأي رآه أكثر من عالم ، وتباهت بالأخذ به أكثر من لغة ، و أن آراء العرب لم تكن أكثر من حلقة في سلسلة هي تاريخ هذه النظرية .

2ــ نظرية المواضعة والاصطلاح :

ذهبت هذه النظرية إلى أن نشأة اللغة قائمة على أساس المواضعة والاتفاق بين الناطقين بها بحيث كان ارتجال الألفاظ أساساً في بناء اللغة .

وقد كان ابن جني ( ت392هـ ) من أوضح الأقدمين تعبيراً عن هذه النظرية فهو انطلاقاً من الاعتزال الذي يحتكم إلى العقل يقول : (( ثم لنعد فلنقل في الاعتدال لمن قال بأن اللغة لا تكون وحياً ، وذلك أنهم ذهبوا إلى أن أصل اللغة لابد فيه من المواضعة . قالوا : ذلك كأن يجتمع حكيمان أو ثلاثة فصاعداً ، فيحتاجوا إلى الإبانة عن الأشياء المعلومات ، فيضعوا لكل واحد منها سمة ولفظاً إذا ذكر عرف به مسماه ليمتاز من غيره وليغني بذكره عن إحضاره إلى مرآة العين )) . ويسيرون على هذه الوتيرة في أسماء بقية الأشياء وفي الأفعال والحروف وفي المعاني الكلية والأمور المعنوية نفسها .

ولم ينج هذا المذهب من سهام النقد ، و أنفذ هذه السهام النقد ، و أنفذ هذه السهام أن المتواضعين في حاجة إلى لغة يتفاهمون بها ، فإن لم يكن لديهم لغة سبقت اللغة التي تواضعوا على صنعها فكيف تواضعوا ؟ و إن كانت لديهم لغة سابقة فمن الذين صنعوا اللغة السابقة ، وكيف صنعوها ؟ والسهم الثاني أن هذا المذهب لايستند إلى سند عقلي أو نقلي ، ولا يشفع له ناموس من نواميس التطور أو نظام من الأنظمة الاجتماعية ، ومن المعروف أن هذه النظم لاترتجل ارتجالا ً ، ولا تخلق خلقاً ، بل تتكون بالتدرج من تلقاء نفسها .

3ــ نظرية المحاكاة :

مبدأ هذه النظرية يقوم على أساس أن الإنسان سمى الأشياء بأسماء مقتبسة من أصواتها ، أو بعبارة أخرى أن تكون أصوات الكلمة نتيجة تقليد مباشر لأصوات طبيعية صادرة عن الإنسان أو الحيوان أو الأشياء .

وقد عرض ابن جني فكرة المحاكاة بقوله : (( وذهب بعضهم إلى أن أصل اللغات كلها إنما هو من الأصوات المسموعات كدوي الريح وحنين الرعد وخرير الماء وشحيج الحمار ونعيق الغراب و صهيل الفرس ... ثم ولدت اللغات عن ذلك فيما بعد )) . و ارتضى ابن جني هذا الرأي فقال معقباً عليه : (( وهذا عندي وجه صالح و مذهب متقبل )) .

أما علماء اللغة الغربيون فمنهم من أخذ بمذهب المحاكاة في تفسير نشأة اللغة ، ومن هؤلاء العالم الألماني هردر الذي دافع عن هذه النظرية في كتابه ( بحوث في نشأة اللغة ) .

ويمتاز مذهب المحاكاة بأنه يشرح لنا مبلغ تأثر الإنسان في النطق بالألفاظ بالبيئة التي تحيط به ، غير أن أهم ما يؤخذ على هذه النظرية أنها تحصر أساس نشأة اللغة في الملاحظة المبنية على الاحساس بما يحدث في البيئة ، و أنها تتجاهل الحاجة الماسة إلى التخاطب والتفاهم والتعبير عما في النفس ، تلك الحاجة التي هي من أهم الدوافع إلى نشأة اللغة الإنسانية ، وفضلاً عن ذلك فإن هذه النظرية لا تبين كيف نشأت الكلمات الكثيرة التي نجدها في اللغات المختلفة ولا نرى فيها محاكاة لأصوات المسميات ويتضح ذلك بوجه خاص في أسماء المعاني : كالعدل و المروءة و الكرم والشجاعة وغير ذلك .

وقد دعا هذا النقص العالم ( هردر ) المدافع الأول عن هذه النظرية إلى العدول عنها ، و سخر منها كذلك اللغوي الألماني ( ماكس ملر ) .